

عوامل انبعاث عصر النهضة

درج مؤرخو أوروبا على وصف حركة إحياء العلوم والآداب "بعصر النهضة" ويتضح أنه وإن كان علماء العصور الوسطى قد أساءوا لعلوم فترتهم، من حيث أنهم أخضعوها لآرائهم التي ظنوا أنها أحكام لذلك العصر، أو أنهم أهملوا بعضها توافقاً مع رغبة الكتلة المسيطرة حينئذ أو رجال الدين، فإن علماء ذلك العصر -عصر النهضة- سلكوا مسلكاً مختلفاً.

لقد امتاز رواد هذه الحركة بأنهم أعطوها كل عناية واهتمام ولم يدخروا شيئاً من طاقتهم، فقد درسوا كل ما وقع تحت أيديهم من الكتب اليونانية والرومانية في الجوانب العلمية والأدبية ودرسوا الآثار الفنية الباقية، وقد إمتازت هذه الحركة بأن هؤلاء العلماء لم يكن دورهم هو مجرد نقل بقايا هذه الحضارة القديمة، فقد عدلوا ما رأوا تعديله وأضافوا ما يجب إضافته، والأكثر من ذلك هو أنهم أضفوا شخصيتهم وآرائهم على هذه العلوم بمختلف مجالاتها، ومن ثم أبدعوا فأحدثوا نهضة جديدة.

حينئذ عرفت هذه الحركة وسميت "بالإحياء Renaissance" إذ كان روادها يعتبرون الفترة التي سبقتها بفترة سكون وجمود ويجب انتشال الإنسان وإحيائه منها، وكانوا يؤمنون بأن الحضارة الحقة قد اندثرت بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية العريقة، وقد عادت إلى الوجود مرة أخرى على أيديهم، والواقع أنه توافر لهذه الحركة مجموعة من العوامل ساعدت على بعثها، ومن هذه العوامل:

1. الصلات الثقافية بين أوروبا الغربية ومراكز الحضارة الإسلامية وهي:

أ. بلاد الشرق الأدنى:

وهي التي تعرضت للحمالات الصليبية والتي استمرت لقاربة قرنين من الزمان وكان ذلك خلال فترة العصور الوسطى المتأخرة، وفي هذه الفترة كانت أوروبا تسير بخطى بطيئة في ظلمات الجهل، وفي الوقت الذي كانت فيه الحضارة الإسلامية تسير بخطى ثابتة في طريق تقدم العلوم والفنون والرياضيات والفلك والجغرافيا والتاريخ وما إلى ذلك من جوانب العلوم المختلفة. وهنا يجب أن نذكر أن الفضل في حفظ بقايا الحضارة الرومانية واليونانية إنما هو قسمة بين ثلاثة أطراف وهم:

1. الكنيسة الكاثوليكية في الغرب.

2. العلماء المسلمون، حيث نشطت حركة الترجمة عن العلوم في العصر الأول للخلافة العباسية حتى قيل: إن الخليفة العباسي المأمون كان يقدر ما يترجم لصاحبه بوزنه ذهباً. ومن العلوم التي حظيت بعناية العرب في ذلك الوقت علم الفلك، وظهرت مجموعات من العرب اعتمدوا على الفلسفة في مناقشاتهم ومجادلاتهم، ومن ذلك جماعة المعتزلة.

3. أما الطرف الثالث الذي يرجع إليه الفضل في حفظ بقايا الحضارة اليونانية والرومانية هي بيزنطة والقسطنطينية بما نقلوه إليها من هذه الحضارة.

ب. شبه جزيرة أيبيريا:

وقد حكم العرب شبه جزيرة أيبيريا ما يقرب من ثمانية قرون أصبحت خلالها قلعة علم ومنارة للحضارة، فأصبحت مقراً للمدارس والمعاهد ودور العلم حتى أصبحت مقصد طالب العلم وحينذاك كانت قد ازدهرت بها دراسة الفلسفة والطب والرياضيات بأنواعها والأدب والشعر.

ج. صقلية:

وقد حكمها العرب مدة تزيد عن قرنين ونصف ونقلوا إليها جوانب الحضارة الإسلامية حتى أصبحت منارة العلم وإشعاع الضياء لأوروبا، وقصدها طلاب العلم بما في ذلك الأوربيون، وبعد أن سقطت صقلية في يد الرومان لم يحاولوا إزالة الصبغة العربية التي صبغ بها العرب صقلية وإنما حافظوا عليها وعملوا على تقدمها حتى استنفذوا أغراضهم منها واصطبغت بالحضارة الغربية.

2. شخصية أعلام عصر النهضة:

كانوا شخصيات متميزة من ذلك الطراز الخلاق المبدع لا المقلد. حيث إننا نجدهم يطلقون لأنفسهم العنان في قراءة العلوم المختلفة ووضع التعديلات المناسبة دون قيد أو شرط مما حررهم من قيود العصور الوسطى.

فكان الإنسانيون هم العلماء الذين أوقفوا كل ما يمتلكون من مال وجهد في سبيل ازدهار هذه الحركة، لذلك كانوا يبحثون عن القديم بكل شغف وشوق دون أن ينظروا إلى المقابل المادي من وراء ذلك، وبعد أن يجدوا ما يريدون يصبغونه بطابعهم الخاص.

3. انتقال عدد كبير من العلماء الإغريق إلى إيطاليا:

ولا يجب أن ننسب هذا إلى محمد الفاتح الذي فتح القسطنطينية 1453م، وهناك من الأدلة الكثير مما ينهض دليلاً على خطأ هذا الاعتقاد، ومن ذلك العالم الإغريقي مانويل كريزلوراس MANUEL CHRISOLORES والذي حضر من القسطنطينية وحاضر في جامعات فلورنسا وميلان وكان ذلك بين عامي 1397-1400، وكذلك العالم BESSARION الذي نجح في جمع حوالي 600 وثيقة ودخل إيطاليا دخول المظفر في الحرب.

4. اختراع الطباعة:

وقد كانت أحد عوامل إنجاح حركة الإنسانيين هو إختراع الطباعة, حيث ان طباعة الكتب أصبحت أسهل من ذي قبل, وهذا أدى إلى غزارة الإنتاج العلمي المطبوع وبأسعار أقل من ذي قبل, وهذا ما سهل على الإنسانيين تأليف الكتب وطباعتها وسرعة انتشارها فأفاد منها أكبر عدد لم يسبق له مثيل.